شهريّات

بقلم رئيس التحرير

١ ـ الجمهور والكلمة

بعد ظهر الثلاثاء في ٢١ آذار (مارس) الماضي، شاركت في مظاهرة شعبية كبيرة في بيروت قدّر عدد الذين ساروا فيها بما يزيد عن عشرة آلاف شخص ينتمون الى حركة المقاومة الفلسطينية والاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان .

وفي هذه المسيرة التي قامت احتجاجا على مشروع الملك حسين في اقامة « المملكة العربية المتحدة »، مثلت ، لاول مرة في مظاهرة شعبية ، « اتحاد الكتاب اللبنانيين » الذي يخرج من ركوده ، ليعبّر بعد الآن ،عن موقف المثقفين اللبنانيين ، او موقف قطاع عريض منهم على الاقل ، من مختلف القضايا المصيرية التي يواجهها لبنان وسائر مناطق الوطن العربي .

كانت أذرع ممثلي الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية متشابكة في عرض الطريق ، وكنت أحسّ ، عبر حرارة هذا التشابك ، بوحدة النضال الذي يشد القومية العربية الى اليسار ، على ما قد يكون بينهما من خلافات عقائدية، وكنت اقول في نفسي ان المعركة الضارية التي يخوضها الشعب العربي في وجه الصهيونية والاستعمار وعملائهما ، لا بد فيها من التحام كامل بين المناضلين العرب الذين تحيط بهم هذه القوى الشعبية التي تظلّ ، مهما ادلهمت الاحداث ، العاصم الوحيد من التشاؤم واليأس والاحباط .

وفيما كانت الهتافات تتصاعد من حولي ، منادية باسقاط المشروع ، لم يسعني الا ان أتساءل مرة اخرى : ايكون لهذا « الكلام » جدوى ونفع ؟

وعاودني ، من جديد ، شعور الذنب الذي بدأ يمزقني منذ حزيران من لاجدوى « الكلمة » . سلاح الكاتب . وفكرت مرة اخرى باولئك الزعماء العرب الذين نجحوا في حمل الجماهير العربية على فقدان ايمانها بالكلمة .

وحدثت نفسي ، بينما كان رفيقي بالمسيرة يحثني على الاسراع وقد شعر بتباطؤ خطواتي ، بان مهمتنا ،نحن الكتاب والادباء ، ان نحاول اكتساب الجمهور الفاقد الايمان بالكلمة ، الى الكلمة ، ان نردّ له ثقته بالحرف ، وبنقاوة الحرف .

ولن يكون ذلك بأن نقضي كل فراغ من وقتنا بالجلوس في مقاهي شارع الحمراء او مقاهي الروشة ، نطلق الاحكام ذات اليمين وذات اليسار ، ونصنّف الناس الى فئات ، ونسخر حتى بالجادّين والمخلصين من الكتّاب والادباء .

بل يكون ذلك بان نخوض المعركة الى جانب الجمهور، يدا بيد ، وذراعا بذراع ، وجسما بجسم . ان نعايشه عن قرب ، ان نتحسّس جراحه باصابعنا ، وان تدمى من جراحه اصابعنا ، ألا نكتفي باصدار البيانات واطلاق الشعارات التي فقد ايمانه بكلامها ، بل ان نشعره بان الكلمة التي نقولها ونحن ملتصقون به تحمل مذاقا آخر، ونكهة مختلفة عن تلك التي يعرفها ..

وهذا الشعور بتغير المذاق والنكهة هو وحده ما يردّ للجماهير العربية ايمانها بالكلمة .

٢ ـ « الشهر الشعري » ..

كنت أودّ الا أتحدّث بعد عن نشاط « اتحاد الكتّاب اللبنانيين » .. ولكن هل املك ان أغفل ذلك ، وقد كان شهر آذار الماضي كله حافلا بمظاهر هذا النشاط ، حتى انه صرفنا ، انا ونفرا من اعضاء الاتحاد العاملين ، عن مشاغلنا المعتادة ؟

لقد أقمنا ما أسميناه « الشهر الشعري » ، واقمنا ندوة ثنائية مع « اتحاد الكتّاب العرب في القطر السوري » وشاركنا في أعمال مؤتمر الاحزاب والقوى التقدمية التي بحثت مشروع القانون المقدّم الى مجلس النواب والمتعلق بشروط الاحزاب والجمعيات ، وشاركنا في اعمال اللجنة الوطنية للعام الدولي للكتاب ..

ولكن الحضور الكلّي الذي دللنا عليه في هذه الفترة انما تجلّى في « الشهر الشعري » الذي قدّمنا فيه خمسة من كبار شعراء الوطن العربي هم : محمود درويش ونزار قباني وخليل حاوي وبلند الحيدري ومحمد الفيتوري .

وقد أجمعت الصحافة اللبنانية المعنية بشؤون الادب على ان « الشهر الشعري » قد حقق نجاحا لم يحققه اي مهرجان شعري سابق ، وكان المظهر الخارجي لهذا النجاح الاقبال الشديد الذي شهدته قاعة الاونسكو (وهي اكبر قاعة في لبنان) وقاعة وزارة التربية الوطنية للمحاضرات .

ولكن المغزى الحقيقي لهذا النجاح يكمن في تسجيل التكريس النهائي للشعر العربي الحديث .

لقد كان يعاب على هذا الشعر انه اعجز من ان يجلب الجمهور الكبير ومن ان يجد لدى المستمعين الاستجابة الكافية ، وكان يقال ان الشعر التقليدي العمودي هو وحده « جلاب » جمهور .. وقد اثبت « الشهر الشعري » ان اهميته تكمن بالذات في ان جميع شعرائه هم من ممثلي الشعر الحديث الذي ارسى قواعده في العقدين الماضيين وأنه قد نجح في خوض تجربته «الجماهيرية » ، اذ خلق مستمعا متلقيا يجد في الشعر ما هو ابعد واعمق واجدى من القافية الموحدة والايقاع الرتيب والوزن المكرور ، على اهمية هذا كله في تاريخ الشعر العربي .

كان المستمع يكتشف في الشعر الذي يلقى عليه قيما جديدة ، في المضمون والشكل ، فيتابعها بتعاطف ومحبة ، ويبذل لادراكها وتعمقها جهدا خاصا يجنّد له فكره واحساسه ، فلا يعبّر عن انفعالاته بالتصفيق الا حين يكون قد استوعب « كلية » هذا الشعر الذي يخاطب فيه الفكر والحسّ والعاطفة معا .

* * *

وكان الشاعر حريصا على منح المستمع هذه السوّية التي تميز الشعر الحديث فيمتنع عن تقديم ما يثير في نفسه « جانبا » واحدا ، او ذكرى غابرة .. لقد رفض محمود درويش مثلا ان يقرأ شيئا من شعره القديم ، ورفض ان يقرأ بخاصة قصيدته « بطاقة هوية » ، لانها مع شعره القديم كله تشكل « عهدا » في تطوّره الشعري ، موقفا وموضعا ، تجاوزه الى مستويات جديدة هي التي تكوّن رؤيته الجديدة في الشعر وفي العالم .

ولا شك في ان « الشهر الشعري » في لبنان سيكون ، بعد النجاح الذي حققه ، تقليدا سنويا سيحرص ممثلو الشعر الحديث على ان يحمّلوه اضافات جديدة لمسارنا الادبي ، محاولين في الوقت نفسه تركيز اسس هذا الشعر واسقاط الشوائب والمآخذ التي ما تزال تعتريه .

٣ ـ الشعر والاخلاق

سألني مندوب الاذاعة الفرنسية في باريس :

ـ كان شيئا غريبا ان يقدّم شاعر شاعرا ، ان يقدم محمود درويش نزار قباني في احدى امسيات الشهر الشعري الذي اقامه اتحادكم . فكيف تلقى الجمهور ذلك؟

ـ بل كان ذلك طبيعيا ، او ينبغي ان يكون ذلك من طبيعة الاشياء . ان الحسد لا مكان له بين شاعرين حقيقيين . وقد اقترحت على محمود ان يقدم نزار ، وكان في ذلك مفارقة ، من غير شك . ورحب محمود بالاقتراح ، وكان سعيدا به . وحين استشرت نزار ، لم يكن اقل ترحيبا وسعادة . كان في ذلك درس تواضع ومحبة وصراحة . وكثير من شعرائنا يفتقرون الى هذا كله . والمهم في الامر ان الجمهور المتلقي لم يكن اقل من الشاعرين ترحيبا وسعادة ...

سهيل ادريس